Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما القصيدة الأخيرة في الثلاثية الذرية فهي قصيدة : « مرثية جيكور »[1] ولعلها العمل الوحيد ، الذي تميز ـ حتى هذه المرحلة من شعره ـ بعدة ميزات لم تتكامل لنماذجه السابقة . فهي القصيدة التي قامت على محاولة فكرة واحدة متماسكة . وتصميم عقلي مسبق لمضمونها الفكري ، كما أنها القصيدة التي تحاول أن تؤدي فكرة سيتول عن التطور الارتقائي للجنس البشري من حيث هو تطور للعنف والشر ، عبر مراحل مادية تهدر فيها القيم الروحية السامية في سبيل الثروة / النقود ؛ إلى جانب تأسيس الصور مباشرة على نماذج سيتول سواء في الصور الجزئية أو المساحات التصويرية المتمايزة ، وإن كان قد حاول استخدام التراث العربي في بعض الصور ، إلاّ أن المساق الفني العام لها يخضع لروح قصيدة « شبح قايين » حتى بظلالها الدينية المسيحية .

تبدأ القصيدة من نهاية حدث بشع ، هو تدمير « جيكور » المتخيل ، فهيروشيما هي جيكور ، وهي كل قرية آمنة على الأرض ـ أو لنقل كانت آمنة ـ يأتيها الدمار في لحظة دون ذنب . هذا الدمار الذي هو نتاج بلوغ الحضارة المادية الحديثة ذروة تقدمها الشرير ، وكأن هذه المسيرة الحضارية الطويلة للإنسان قد حدثت بهدف تدمير الحياة الإنسانية أساساً . في اللوحة الافتتاحية للقصيدة ، نرى ظل صليب المسيح واقعاً على وجه جيكور ، ولكن هذا الظل لم يكن رحمة أو سلاماً بل كان دماراً ، لأنه ظل الطائرة التي تحمل القنبلة الذرية ، ظل طائر الحديد أو التيروداكتايل الستيولي :

يا صليبَ المسيح ، ألقاكَ ظِلاً ... فوقَ جيكورَ، طائرٌ من حديدِ
يا لَظِلٍّ كظُلْمَةِ القبرِ في اللو ... ن، وكالقبرِ في ابتلاع الخدودِ
والتهامِ العيون من كلِّ عَذْرَ ... اءَ، كعذراءِ بَيْتِ لَحْمِ الوَلودِ
مرَّ عَجْلانَ بالقُبورِ العَوَاري ... من صليبٍ على النصارى شهيدِ

فاكتست منه بالصليب الذي ما كان إلاّ رمزَ الهلاكِ الأبيدِ :

لا رجاء لها بأن يبعث الموتى .. ولا مأمل لها .. بالخلود !

مرّ ظل الصليب على جيكور فكأنه القبر ظلاماً ، وإفناء للحياة . أو كأنه شدق الأرض المفغور يبتلع الأحياء . وفي هذا الظل يتلبس الشر بصورة الخير ، ولكنه يظل شراً خالصاً ، فهذا الصليب الذي مرّ على القبور الإسلامية (العواري من صليب على النصارى شهيد) ، لم يكن لإحياء من فيها من الموتى القدماء ، بل لتزويدها بالمزيد من الأموات الجدد . وعند اللحظة التي تمر الطائرة فيها بجيكور ، كان أهلها البسطاء يحتفلون بعرس جديد ، أي تمهيد لحياة جديدة ،

١ ـ الأعمال الكاملة ص ٤٠٣ .